

أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الواحدة والخمسون

سفر النبي زكريا (١)

مستمعي العزيز، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن، وعن المسيح المخلص الآتي.

وكنا قد تأملنا في اللقاء السابق بسفر النبي حبقوق. فاستعرضنا تساؤلاته التي وجهها نحو الله، وكيف يسمح الله بإنتصار الشر والأشرار. فكان جواب الله له أن يثق به ويصبر ويتأني، لأن الله هو سيد الكون. ثم تأملنا بآية النبي حبقوق المشهورة: " والبار بإيمانه يحيا ". فتبين لنا أن الله يغفر خطايانا ، ويجعلنا أبرارا أمامه ، إن أتينا إليه بالإيمان بموت المسيح الكفاري من أجلنا على الصليب.

ننتقل اليوم إلى سفر آخر من أسفار الأنبياء ، ألا وهو سفر النبي زكريا. وزكريا إسم عبري معناه يهوه قد ذكر ، أي الله قد ذكر. وكان النبي زكريا من سبط لاوي ، ويحق له أن يكون كاهنا. كُتب سفر زكريا بعد عودة بعض اليهود من السبي البابلي، في زمن الأمبراطورية الفارسية ، وفي عهد الملك الفارسي داريوس ، بالقرن السادس قبل الميلاد.

يُقسم سفر زكريا إلى قسمين رئيسيين. القسم الأول ويشمل الفصول أو الأصحاحات الثمانية الأولى. وقد كُتب ما بين عامي خمسمئة وعشرين وخمسمئة وثمانية عشر قبل الميلاد. ويحتوي على ثمان رؤى. شجع النبي زكريا في هذا القسم الشعب على التوبة وطرح خطاياهم ، وإتمام بناء الهيكل ، بعد أن كان قد توقف. ووعدهم ببركة الله القادمة ، ومجيء المخلص المسيح.

أما القسم الثاني من سفر زكريا ، فهو يبدأ من الفصل أو الأصحاح التاسع وحتى نهاية السفر في الأصحاح الرابع عشر. وقد كُتب بعد أن تم إعادة بناء الهيكل ، حوالي سنة أربعمئة وثمانين قبل الميلاد. أوضح النبي زكريا في هذا القسم ، أن عصر المسيح المجيد لن يبدأ فوراً بعد بناء الهيكل. وتتأني عن المخلص المسيح ، وكشف تفاصيل كثيرة من حياته. وقد تحققت هذه النبوءات بالضبط تماما ، بعد حوالي خمسمئة سنة.

حقاً، ما أعجب كلمة الله صديقي المستمع ، إذ تنبأت لنا عن حقائق هامة. وصار بمقدورنا التأكد من صحة هذه الحقائق ، إذ رأيناها تتحقق أمامنا بالتفصيل. هذا هو بالضبط هدف دراستنا في هذه السلسلة.

وسنبداً بالنبوءة الأولى التي تنبأ بها النبي زكريا ، عن المخلص المسيح وعصره المجيد الآتي. كتب النبي زكريا قائلاً: "ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب. فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك ، فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك." (زكريا ٢: ١٠ و ١١) فمتى وكيف تحققت هذه النبوءة يا ترى؟

إن هذه النبوءة تشير بكل وضوح إلى مجيء المسيح إلى عالمنا ، الذي هو الرب المخلص. ألم يبشر الملاك الرعاة ، عند ولادة الطفل يسوع المسيح قائلاً لهم: " ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب." (بشارة لوقا ٢: ١٠ و ١١) لهذا دعا النبي زكريا الشعب لكي يترنم ويفرح عند مجيء المخلص المسيح. أما سبب الترنم والفرح ، فهو أن المخلص الرب سيسكن في وسط شعبه من المؤمنين به. وهي نفس النبوءة التي سبق للنبيين إرميا وحزقيال أن تنبأ بها ، عن المخلص الملك المسيح ، وسكناه في وسط شعبه.

ولقد كتب الرسول بولس إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: " فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً." (الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٦: ١٦) نعم، إن المؤمنين بالمخلص الرب المسيح ، هم هيكل الله الحي ، أي المكان الذي يسكن فيه الله ، بواسطة روحه القدس. فالمسيح الرب كما تنبأ النبي زكريا يسكن اليوم في وسط شعبه من المؤمنين به. ولهذا قال المخلص المسيح لتلاميذه ، وقبل صعوده إلى السماء: " وها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر." (بشارة متى ٢٨: ٢٠) إن المسيح إذن هو مع شعبه ، ويسكن بالإيمان في وسطهم.

ولم تقف النبوءة عند هذا الحد ، بل تنبأت عن أمم كثيرة تتصل بالرب. أي ستعرف الرب المخلص عند مجيئه ، فتكون له شعباً ، وهو يسكن في وسطها. وهذا الذي حصل بالضبط بعد مجيء المخلص الملك المسيح. إذ لم يعد شعب الله مقتصر على شعب معين ، بل شمل المؤمنين بالمخلص المسيح من جميع الشعوب والأمم. وهي نفس النبوءة التي سبق للنبي عاموس أن تنبأ بها ، معلناً أن أمم كثيرة ستصبح من شعب الله. وهذا يعيدنا إلى وعد الله لإبراهيم الخليل أن ينسله ، أي بالمخلص المسيح ، تتبارك جميع أمم الأرض. وها هي بشارة الإنجيل المفرحة ، بشارة الخلاص يركز بها في جميع أنحاء العالم ، ويؤمن بها الكثيرون من شعوب مختلفة.

غابت أثناء فترة سبي الشعب في بابل وظيفة الكهنة ، ولم تكن بالتالي تقدم الذبائح. لكن بعد عودة بقية الشعب من السبي وبدء العمل في بناء الهيكل ، كان لابد من تعيين رئيس للكهنة. وهو ما رآه النبي زكريا في رؤياه. وفي هذه الرؤيا عين الله ، يهوشع الكاهن رئيساً للكهنة. كان رئيس الكهنة وسيطاً بين الله والشعب. وكان عليه تقديم الذبيحة في يوم الكفارة عن كل خطايا الشعب. وهذا بحد ذاته كان إشارة ورمزاً للمسيح الآتي.

يعني اسم يهوشع الله مخلص. وهو نفس معنى اسم يسوع المسيح ، أي الله مخلص. ولذا نقول إن يهوشع كرئيس للكهنة كان رمزا وإشارة إلى المخلص يسوع المسيح ، الذي هو رئيس الكهنة الحقيقي. لقد قدم المسيح رئيس الكهنة الحقيقي ، جسده ذبيحة للتكفير عن خطايانا ، وذلك بموته البديلي على الصليب. فأنهى بذلك نظام تقديم الذبائح القديم ، وصار هو الوسيط الوحيد بين الله والناس. ولقد كشف كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن نظام العهد القديم كان نظاما رمزيا مؤقتا ، وقد وُضع إلى وقت الإصلاح. أي إلى أن يأتي المخلص المسيح ويبدأ عهده الجديد ، بموته الكفاري على الصليب.

إن الذي يؤكد أن يهوشع كان رمزا للمسيح المخلص ، هو أن الله كلم النبي زكريا في هذه الرؤيا قائلا: " لأني هأنذا آتي بعدي الغصن. فهوذا الحجر الذي وضعته قدام يهوشع على حجر واحد سبع أعين." (٩:٣ و٨:٩) فمن هو هذا الذي وصفه الله في الرؤيا هنا بعدي الغصن الذي سيأتي، وبالحجر؟

من الواضح أن تعبير عدي ، يشير إلى المخلص المسيح ، الذي أطلق عليه النبي إشعياء اسم عبد الرب المتألم. عبد الرب المتألم ، الذي تنازل من السماء. وأطاع الله الأب كعبد ، بأن حمل ذنوب ومعصية البشر جميعا وهو البار ، بموته الكفاري على الصليب ، من أجل فدائهم. أما الغصن فهو يشير أيضا إلى المخلص الملك المسيح. وهو نفسه الذي وصفه النبي إرميا بغصن البر. غصن البر الذي يملك ويجري حقا وعدلا في الأرض. ويهب البر لكل من يؤمن به. ويكون اسمه الرب برنا. أما الحجر فهو إشارة واضحة إلى المخلص المسيح ، الذي هو حجر الزاوية ، الذي يقوم عليه بناء كنيسة الله شعب الله الجديد. أما السبع أعين فهي رمز لكامل المسيح.

وأضاف الله قائلا للنبي زكريا في نفس الرؤيا: " هأنذا ناقش نقشه يقول رب الجنود وأزيرل إثم تلك الأرض في يوم واحد." (زكريا ٩:٣) وقد تحققت هذه النبوءة في المخلص المسيح الذي مات مرة واحدة ، فأزال الخطية ، وأتم عمل الفداء. ولهذا يستطيع اليوم كل من يأتي بالإيمان إلى المخلص المسيح ، أن يتحرر من عبودية الخطية ، و أن ينال الغفران. فالمخلص المسيح هو عبد الرب الذي تألم من أجلنا ، لكي يهبنا الغفران والخلود. وهو غصن البر الذي يهب البر الكامل لكل من يؤمن به. وهو حجر الزاوية ، الأساس الذي يقوم عليه الإيمان الصحيح. فهل تأتي صديقي المستمع بالإيمان إلى هذا المخلص الفريد العجيب؟